

صبح الأعشى في صناعة الإنشا

ولنا في المغرب أثر أغرب وفي أعماله أعمال دون مطلبها كما يكون المهلك دون المطلب وذلك أن بني عبد المؤمن قد اشتهر أن أمرهم أمر مملكتهم قد عمرو جيوشهم لا تطاق وأوامرهم لا تشاق ونحن والحمد لله قد ملكنا مما يجاورنا منه بلادا تزيد مسافتها على شهر وسيرنا عسكريا بعد عسكر ورجع بنصر بعد نصر ومن البلاد المشاهير والأقاليم الجماهير لك برقة قفصة قسطنطينية توزر كل هذه تقام فيها الخطبة لمولانا الإمام المستضيء بالله سلام الله عليه ولا عهد للإسلام بإقامتها وتنفيذها فيها الأحكام بعلمها المنصور وعلامتها وفي هذه السنة كان عندنا وفد قد شاهدته وفود الأمصار مقدار سبعون راكبا كلهم يطلبون لسلطان بلده تقيدا ويرجون منا وعدا ويخافون وعيدا .

وقد صدرت عنا بحمد الله تقاليدنا وألقيت إلينا مقاليدنا وسيرنا الخلع والألوية والمناشير بما فيها من الأوامر والأقضية .

وأما الأعداء الذين يحدقون بهذه البلاد والكفار الذين يقاتلوننا بالممالك العظام والعزائم الشداد فمنهم صاحب قسطنطينية وهو الطاغية الأكبر والجبار الأکفر وصاحب المملكة التي أكلت على الدهر وشربت وقائم النصرانية التي حكمت دولته على ممالكها وغلبت وجزت لنا معه غزوات بحرية ومناقلات ظاهرية وسرية وكانت له في البلاد مطامع منها أن يجبي خراجا ومنها أن يملك منها فجاجا وكانت غصة لا يسيغها الماء وداهية لا ترجى لها الأرض بل السماء فاخذنا والله الحمد بكظمه وأقمناه على قدمه ولم نخرج من مصر إلى أن وصلتنا رسله في جمعة واحدة في نوبتين بكتابين كل واحد منهما يظهر فيه خفض الجناح وإلقاء السلاح والانتقال من معاداة إلى مهاداة ومن مناصحة إلى مناصحة حتى إنه أنذر بصاحب صقلية وأساطيله التي يرد ذكرها وعساكره التي لم يخف أمرها .

ومن هؤلاء الكفار صاحب صقلية هذا كان حين علم أن صاحب الشام